دراسات فنية
مخبر الفنون والدراسات الثقافية
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
Algerian Scientific Journal Platform

المجلد:06. العدد: .01.(2021) ص.238./.249.

"العنف ضدّ المرأة من مسائلة الواقع إلى سؤال المصير في الفن".

"Violence against women: from questioning reality to questioning destiny in art".

نادية ميسوري [1]، فوزية شنافي [2]

[1] جامعة وهران2(الجزائر)، إيميل: missourinadia5@gmail.com

[2] جامعة وهران2 (الجزائر) إيميل: chenafi.faouzia@univ-oran2.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2020/...../.....

تاريخ القبول: 2020/..../...

الكلمات المفتاحية

- ✓ الفن:
- ✓ العنف ضدّ المرأة:
- ✓ السينما الجزائرية:

الملخص:

تتعرض العديد من النساء يوميا وفي جميع المجتمعات إلى أشكال من العنف، ومعاناة المرأة من العنف قديمة وتاريخية، وموجودة في معظم الحضارات السابقة مرورا بالتخلف والانحطاط الذي كان سائدا أيام الجاهلية ،قبل الإسلام، حتى وصولنا إلى الحضارات الحديثة و إن زالت بعض تلك الصور، أو تغير شكلها إلا أنها كظاهرة لا زالت قائمة في المجتمعات وخصوصا العربية منها . وعلى الرغم من أن بعض أشكال العنف الموجه ضد المرأة،قد يترتب عليه آثارا مادية جسدية ، إلّا أنّ الآثار الاجتماعية والنفسية لجميع أشكال العنف سواءا كانت مادية أو معنوية، أعمق و أشد من الآثار المادية . وتعتبر السينما مرآة المجتمع حيث تجسد لنا الواقع الذي تعيشه المرأة في جو مشحون من الخوف والمعاناة والذي يستلزم النظر إليه على أنه واقع كارثي لا يقرأ في الكتب أو الأبحاث، وإنما يجب أن يلاحظ على أرض الممارسة الفنية بما في ذلك الأفلام السينيمائية ونحن نعلم أن المشاهد الجزائرية تستهويه أو يحب مشاهدة ما تنتجه السينما الجزائرية.

Article info

Received ……..

Accepted ……..

Keywords:

- ✓ *The art;*
- ✓ *Violence against women;*
- ✓ *Algerian cinema.*

Abstract :

Many women are exposed daily and in all societies to forms of violence, and the suffering of women in the face of violence is ancient and historical, and is present in most previous civilizations through the backwardness and decadence that prevailed in the time of ignorance, before Islam, until we reach modern civilizations, although some of them have disappeared these images, or change shape, but as a phenomenon still exists in societies, especially Arabs. While some forms of violence against women can have physical effects, the social and psychological effects of all forms of violence, whether physical or moral, are deeper and more severe than the physical effects. Women live in an atmosphere fraught with fear

and suffering, which necessitates viewing it as a catastrophic reality that cannot be read in books or research, but must be noticed in the field of artistic practice, including cinematographic films, and we know that Algerian scenes attract him or love to watch what they produce in Algerian cinema.

المؤلف المرسل: نادية ميسوري

1 –مقدمة:

إنّ مفهوم العنف من المفاهيم، المتعددة الصور والأبعاد والمستويات، وبالتالي؛ لا يمكن، جمع كل هذه الصور و الأبعاد في إطار مفهوم واحد، لهذا يتعذر أحيانا إعطاء تعريفا عاما و موحدا، ضف إلى ذلك اختلاف اهتمامات وتخصصات الباحثين في معالجة موضوع العنف.لقد تم التطرق لموضوع العنف ضد المرأة من طرف الباحثين الاجتماعيين و النفسانيين. وقد كان للسينما الجزائرية الحظ الأوفر في معالجة هذه الظاهرة التي استفحلت في المجتمع و أولى لها المخرجون الجزائريون اهتماما كبيرا بغرض توعية أفراد المجتمع و ضرورة الانتباه إلى خطورتها على المجتمع والأفراد. سنحاول التطرق للزاوية التي نظر إليها الفن السينيمائي للعنف الممارس على المرأة والرسالة التي قدمها للحد من هذه الظاهرة.

2 –تعريف العنف:

2 1. المفهوم اللغوي للعنف:

العنف في اللغة: مأخوذ من الجذر(ع.ن.ف) ويعرفه ابن منظور في لسان العرب: «العنف هو الخرق بالأمر و قلة الرفق،و هو ضد الرفق، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره أو اعتنف الأمر بعنف و بشدّة والخوف والجهل و الحمق،و العنيف الذي لا يحسن الركوب و ليس له رفق بركوب الخيل و بهذا فهو يشير إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة، القسوة، التوبيخ و اللوم والتفريع». (ابن منظور، 1994، صفحة 257)

وتعني في معجم "وبستر Webster " «استخدام القوة لإحداث الأذى بالغير». (شتيوي و سمايلي، 2007، صفحة 71)

في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: « العنف هو استخدام الضبط أو القوة استخداما غير مشروع أو مطابق للقانون، من شأنه التأثير على إرادة فرد ما». (معتوق، 2011، صفحة 17)

2 2. المفهوم الاصطلاحي للعنف:

جاء في التعريف الاصطلاحي للعنف أنه يشير بشكل خاص إلى الإساءة الجسدية أو الاعتداء الجسدي وتختلف أشكاله من فرد إلى آخر كما قد يكون اعتداء أو إساءة مباشرة أو غير مباشرة و يتضمن العديد من السلوكيات السيئة مثل الاعتداء الجسدي و الجنسي والعاطفي واللفظي. (الشهري، 2013، صفحة 26)

و يرى ديديسون فيتزو أنّ العنف هو: «شعور بالغضب أو بالعدوانية، يتجسد بأفعال دامية، جسديا أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر. ». (شكور، 1997، صفحة 22)

كما أنه يشير بشكل خاص إلى الإساءة الجسدية أو الاعتداء الجسدي وتختلف أشكاله من فرد إلى آخر كما قد يكون اعتداء أو إساءة مباشرة أو غير مباشرة ويتضمن العديد من السلوكيات السيئة مثل الاعتداء الجسدي والجنسي والعاطفي واللفظي. (الشهري، 2013، صفحة 26)

أما في الإعلان العالمي للقضاء جاء تعريف العنف ضد المرأة، والذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1993م، بأنه: «أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أو يحتمل أن ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو جنسية أو نفسية للمرأة بما في ذلك،التهديد و اقتراف

مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة » (الشهري، 2013، صفحة 28) ، وفي عام 1993 تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان عن استبعاد العنف اتجاه النساء و قدمت التعريف الآتي عن العنف اتجاه النساء: «أي أعمال عنف موجهة ضد النساء، وتسبب أو يمكنها أن تسبب للنساء ضررا أو آلاما جسدية، جنسية أو نفسية بما في ذلك التهديد بمثل هذه الأعمال سواءً كان ذلك في الحياة العامة أو في الحياة الخاصة»(الجمعية العامة، القرار 104/48تاريخ 20كانون الأول 1993، المادة رقم 1) (مارزانو، 2012، صفحة 1300)

يتمظهر العنف الموجه نحو المرأة، بأشكال مختلفة، لا يمكن على الإطلاق وضع حدود بينها، ذلك لأنها متداخلة،خاصة من حيث الأثر الذي يتركه على المرأة، ففي القاموس الإنجليزي« هو قوة جسدية تتسبب في إحداث ضرر لشخص ما وبممتلكاته، تبدأ بالإهانة و تنتهي بالاعتداء الجسدي» (البرعي، 2000، صفحة 89)

3 – العنف النفسي:(المعنوي أو الدلالي أو الرمزي)

يسمى عند علماء النفس بالعنف التسلطي،و ذلك للقدرة التي يتمتع بها الفرد مصدر العنف وتتمثل في استخدام طرق تعبيرية أو رمزية، تحدث نتائج نفسية وعقلية واجتماعية لدى الشخص الممارس عليه العنف وهو يمثل التعبير بطرق غير لفظية لاحتقار الآخرين أو الامتناع عن النظر إليهم (الظاهر، 1992، صفحة 3) ويعتبر من أخطر أنواع العنف،فهو عنف غير محسوس و لا أثر واضح له وله أثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة و تكمن خطورته في أن القانون قد لا يعترف به، فالعنف النفسي مقترن بالعنف الجسدي،فالمرأة التي تتعرض للعنف الجسدي تصاب بمعاناة نفسية مثل إضعاف ثقة المرأة بنفسها من خلال التشكيك بسلامة عقلها و ذكائها و التقليل من قدراتها و من المخاطر النفسية التي تواجهها المرأة عندما تتعرض للعنف والتي تعتبر نتائج مباشرة للعنف الجسدي:الخوف نقص السيطرة الأحداث، الاكتئاب، اليأس، القلق، تدني تقدير الذات وكذلك التهديد. (عبادة، 2008، صفحة 95)

4 – تمثلات ظاهرة العنف ضدّ المرأة في الوسط الفني:

يعتبر العنف ظاهرة عالمية تفشت بفضل عوامل متعددة، والجدير بالذكر أن العنف لا يقتصر على ثقافة معينة أو ديانة أو بلداً أو طبقة اجتماعيّة بعَينِها، لأنه مسّ الرجل اتجاه الآخر، أو حتى من المرأة في حدّ ذاتها اتجاه أفراد أسرتها، والمقصود بالعنف ضد المرأة لا يتوقف عند حدود الضرب والاغتصاب واستحلال أجسادهن، إنما "العنف ضدّ المرأة يتألف من أي فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس، ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة، زيادة على ذلك يتضمن الأذى النفسي والعاطفي والإساءة، والتحرش الجنسي، وتشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، والإساءة الناتجة عن الاتهامات بالشعوذة والسحر، والتي يطلق عليها قتل النساء والفتيات بدافع الشرف، والإتجار بالنساء والفتيات، ووأد الإناث وغيرها من الممارسات الضارة". (مكتب الأمم المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للمرأة، صفحة 6)

وبقدر أشكال العنف، تتعدّد الأسباب والنواتج، من التفكيك الأسري وبسبب النزاعات والحروب، وبعض المفاهيم وتَبنّي وجهات النظر الداعية إلى فرض القوة الذكورية المترسخة في أذهان الرجال، وكل الأفعال التي تجبر عليها المرأة ضد إرادتها، بسبب العادات والتقاليد الخاطئة، وجعل العنف ينخر في عقول المجتمعات لعقودٍ طويلة ، وزيادة إلى الوسائل والغايات، فقد سبّب ذلك في تقيّيد للحرية والحرمان من الحقوق، وصولاً إلى القمع ومختلف أنواع الانحرافات، كما تزايدت وتيرته بشكل ملفت للنظر خصوصاً من طرف الرجل ضدّ المرأة، ويُعزى هذا الاعتقاد إلى موروثات

عنوان المقال: "العنف ضدّ المرأة من مسائلة الواقع إلى سؤال المصير في الفن".

تعتبر تعنيف الرجل للمرأة أمراً مشروعاً ومبرَّراً، بحجّة أنّ الرجل عنيف بطبيعته، ويصعب عليه التحكّم بغضبه ، وبحجة اعتبار المرأة الأقل امتلاكًا لمصادر القوة الاجتماعية سواء الرمزية أو المادية، وأمام استفحال هاته الظاهرة التي تؤكدها المعطيات والمؤشرات والإحصائيات والدراسات الميدانية، لحالات التبليغات عن العنف، فإنه أدى إلى انتشار واسع للمطالبة بحقوق المرأة، وفي نفس الوقت اعتبر عائقًا كبيرًا أمام تحقيق المساواة بين الجنسين.

أمام متابعة حالات التعريف بالعنف ضدّ المرأة وحمايتها منه ، وأشكال التعبير عن نشر الوعي الثقافي حول هذ ه الظاهرة، فإن المجال الفني، يعتبر موضوع خصب ذو حدّين، فمن جهة يعدُ وسيلة من وسائل ال تعبير عن أسباب انعدام شخصيتها وإعدام مقامها بسبب العنف، بوصفها كائن بشري له الحقّ في إثبات جدارتها في كل مجالات الحياة، وأصبح بذلك الفن، نوع من الدروع الواقية لها لنشر الوعي الثقافي والتصدي لجميع أنواع العنف التي تتعرض له المرأة، وتعبر من خلاله على انشغالاتها و تطوير سلوكيات وتعلم عادات إيجابية، لإثراء التجربة الإنسانية والترفيه والتقدير الثقافي وتحسين الشخصية وحتى التغيير الاجتماعي ، سواءً من على خشبة المسرح أو من خلال شاشات السينما أو من خلال الموسيقى أو عبر لوحة فنية أو كلمات تحتضنها قصيدة شعرية ، وحسبنا أن نشير إلى أن الفن يحيلنا إلى كثير من الأحيان إلى ميدان الحياة الواقعية، ومعنى ذلك ببساطة من لم يرى مشاهد المسرح وأنماطه بعيد عن الروحانية، ومن لم يحركه إيقاع السّماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، ومن لم يعش مع معاني اللوحة وألوانها فاقدُ للمزاج ليس له علاج، فالفن مرتبط مع الإنسان كفنان ممارس أو كباحث يتحدث عن الفلسفة والنقاد، لذلك تداخلت معه العلوم والأجناس الأدبية، فأثر بذلك على المتلقي وأكسبه ثقافة فنية واسعة.

لكن بالمقابل لا نجانب الصواب إذا ما اعتبرنا أن النتاج الفني كالمسلسلات والأفلام والدّراما التلفزيونية العربية بشكل عام، نجدها قد بالغت في استعمال ورقة العنف والتركيز على كذا مشاهد، ومساءلة الواقع في مواقع ولقطات التصوير، بهدف تحقيق أعلى نسب مشاهدة ولإنقاذ ضعف الأعمال الفنية، فجعلت تلك الصور تترسّخ بشكل ملحوظ في ذهن المشاهد وساعدت من انتشار الظاهرة بدل الحدّ منها، عوض التأكيد على حضور النموذج ونمطية المرأة القوية الصامدة والمكافحة، والقادرة على تحدي ظروف الحياة القاسية، أو تقديم البرامج التي توضّح ضرورة قيام علاقة التكافؤ بين المرأة والرجل، وهي نماذج انتشرت بكثرة في الإنتاج الفني والسينمائي الأمريكي والغربي بشكل عام، فإنه على العكس تماماً في مجتمعاتنا، أصبح حجر الزاوية والرؤية الفنية منفرد بما هو مشجع على ما ذكرنا في تفسير آليات انتشار العنف، بحجة أنه انعكاس للواقع، فلم يكن غريباً إذًا أن يهتم الباحثون بهذه القضية، ومدى مجاراة الفيلم السينمائي بشكل خاص لمثل هذا الموضوع الذي يمثل ظاهرة إغوائية ، قد تدفع بالسينمائي لتناولها في اتجاهين ، فإما أن يستند السينمائي للرصيد العلمي ليؤكد عُمق السينما، وإما أن ينطلق من إثارة حواس المتلقي مستهدفاً شباك التذاكر، بسينما رخيصة لا تهتم بالعلم ولا تلقي بالاً لدور الفن السينمائي في المجتمع.

وهي معالجة ثنائية نجدها حتى في الحركات النسائية التي طالبت بالمساواة بين الجنسين، "إذ نجد في تداعيات الحركة النسائية صنفان: صنف عاقل يقر بأن الأمومة هي الاهتمام الفطري الأول لكل امرأة طبيعية، ويبحث عن الوسائل التي ترفع من شأن المرأة في هذا الإطار، سواء في مجالات الدراسة أو في مجال العمل، أما الصنف الثاني فهن المتطرفات من أتباع الآنسة 'سيمون دي بوفوار'، وهؤلاء لا يعطون أي أهمية للاختلافات الجسمانية والذهنية بين النساء والرجال، ويدعون بأنها لا تؤثر إطلاقا على مطالبتهن بالمساواة التامة في كل شيء حتى على حساب العقل والمنطق" (أمين، 1999، صفحة 133، 134)، وفي الحقيقة هي أشبه بلعبة صناعة أفلام التشويق، كتبت بمادة درامية مليئة بتفاصيل صناعة الصراع وإثبات الذات بين المرأة والرجل على قاعدة لئن كان الرابح هذا الطرف أو ذاك، فإن الصرّاع سيسفر عن نهاية الاثنين، إنها لعبة العبثية التي لا تشبه في الحقيقة أياً من أنواع النزاعات التي سبقتها ولا يقوم هدفها العقلاني في إحراز النصر بل في ردع الطرف

الآخر، "ويتبين عندئذٍ أنّنا لا نواجه عنف بعنف، وإنما نظام يواجه بعنفه إحدى الحالات: أولهما يمكن أن نسميه حالة القوة العنيفة، وهي القوة التي دخلت عليها سنة التغيير، فجهلت حيث كان ينبغي أن تعلم وظلمت حيث كان ينبغي أن تعدل، والحالة الثانية، يمكن أن نسميها حالة العنف القوي، وهو العنف الذي يوظف القوى لصالحه، إما تذرعاً بها أو استمداداً للمشروعية منها". (طه، 2017، صفحة 117، 118)

تقول الباحثة فرجينيا وولف (Virginia Woolf)، بأنّ:" الرجل لا يرى في المرأة سوى في أحمر العاطفة لا في أبيض الحقيقة ، فلم يستطع رؤيتها كاتبة أو مفكرة أو فيلسوفة أو في أية مهنة أخرى في خدمة المجتمع " (رؤذان، 2013، صفحة 17)، حيث وقع الظُلم عليها في كثير من المجالات دون مُراعاة للسمات الطبيعية التي جُبلت عليها الخليقة والمستويات الحضارية للجنس البشري، أو للفوارق والقدرات العقلية والبدنية للمرأة، وفي مثل هاته الشروط ليس ثمة ما هو أكثر يقينًا أن يهتم الفنانون والفلاسفة بالعنف اهتمامهم بالإبداع والعقل، "وقد اعتدنا أن نشاهد في كل الأفلام العربية والأجنبية شخصيات بعينها تلعب أدوار الشرّ والجريمة فقط من خلال طبيعة تكوينها وشكلها الذي يوحي بالشرّ، وهذه المقاربة الشكلية بين الشخصية والمِمَثل لم تأت من فراغ أو اجتهاد عشوائي، وإنما لها أساس علمي تناولته ونظرته له الكثير من الدراسات والأبحاث ومن أبرزها، في مجال علم الإجرام العالم سيزار لومبروزو 1836- 1909 (Cesare Lombroso)" (الدليمي، 2017، صفحة 100)، والذي تمثل نظريته حجر الزاوية لكافة المذاهب البيولوجية والتكوينية التي قيلت من بعده حول تفسير السلوك الإجرامي ، كما أن أفكاره تمثل عصب الفلسفة الوضعية La philosophie positive في الفكر العقابي والسياسة الجنائية ، إذ يرى لومبروزو أن الإنسان المجرم هو الذي يحتفظ عن طريق الوراثة بالخصائص الأنثروبولوجية والبيولوجية المماثلة للإنسان البدائي، فتدفعه دفعاً إلى سلوك سبيل الجريمة، أي أن المجرم مجبر على ارتكاب الجريمة، فهو مجرم بالميلاد Criminel né أو بالطبع، "أما أصحاب النظرية السلوكية، فيرون أن العنف والعدوان شأنه شأن أي سلوك، يمكن اكتشافه ويمكن تعديله وفقاً لقوانين التعلم، ولذلك ركزت البحوث والدراسات السلوكية في دراسة العنف على حقيقة، أن السلوك برمته متعلم من البيئة، ومن ثم فإن الخبرات المختلفة التي اكتسب منها الشخص السلوك العدواني قد تم تدعيمها بما يعزز لديه ظهور الاستجابة العدوانية كلما تعرض للموقف المحبط". (عاطف، 2020، صفحة 704)

بالعودة إلى أفكار لومبروزو، فإنها تعرضت أبّان ظهورها لنقد شديد، خاصة فيما يتعلق بتمسكه بالمجرم بالميلاد أو بالفطرة كنمط إجرامي وحيد بين المجرمين، فقد دفع هذا النقد لومبروزو إلى أن يطور من نظريته، فقام باستبعاد المجرم بالميلاد وأضاف طوائف أخرى من المجرمين ، ويقول عنه الدكتور جاسم الدليمي، إن ثقته في قدراته التهديفية لم تهتز، "فبالرغم من الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية من قبل بعض المختصّين، إلا أنها في فن التمثيل تعمل بكل طاقاتها وتحقق إقناعاً كبيرًا، وعليها إجماعاً كاملاً، لأن ما يعنينا هنا أن ملامح المجرم وصفاته التي جاءت بها هذه النظرية، يمكن أن تمثل خارطة علمية، تمكن المخرج من اختيار الممثل الذي يجسد شخصية المجرم والعنيف، بخاصة في البعد الفيزيائي الفسيولوجي وفق أسس علمية والتقسيمات التي وضعها لومبروزو" (الدليمي، 2017، صفحة 102) ، لذلك لم يكن غريباً أن تتجه البحوث الاجتماعية والنفسية في المجتمعات المعاصرة لدراسة ظاهرة العنف، فتناولتها مختلف المدارس الفنية (البصرية وفنون العرض)، " وساهمت تكنولوجيات الاتصال الرقمي في جهود الدعوة لإنهاء العنف القائم على نوع الجنس ضد النساء والفتيات ؛ وقد استخدمت الحركة العالمية "V-Day" فقرة من مسرحية، أحاديث المهبل "Vagina Monologues" للكاتب إيف إنسلر، وإن حركة V-Day تعتمد بشكل أساسي على المسرح والرقص للتضامن مع النساء اللواتي يعانين من العنف، كما تم إنشاء مواقع على الإنترنت تسمح للنساء بالإبلاغ عن تجاربهن عن العنف والسعي للتضامن والدعم من المستخدمين الآخرين، على سبيل المثال، مواقع "Hollaback" وحركة "أنا أيضًا (MeToo)"، وحملات المجتمع المدني المنظمة إلى الاستجابات الفردية الفورية باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي ، كوسيلة لتقديم شهادات المعفنات، والإبلاغ عن أعمال التحرش والعنف في الشوارع "

(الموقع)، وقد تناولها المخرجون السينمائيون أيضًا بمختلف مراحلها، باعتبارها أحد المواضيع الشائكة في كثير من المجتمعات ، داعيين المجتمع المدني لكسر كل طابوهات السكوت وعدم تصوير أشكال العنف والتحرش ضدّ المرأة ، التي يعشن فيها جرّاء هذه العدوى العالمية القاتلة والم شوهة جسديًا، ونفسيًا، جنسيًا، وحتى اقتصاديًا، حيث تشير البحوث المختصة للأمم المتحدة أنه إذا ما تم القضاء على العنف القائم على نوع الجنس، فإنه يمكن توجيه الأموال التي يتم إنفاقها حاليًا على الوقاية من العنف والاستجابة له في الخدمات المجتمعية الأخرى (الرعاية الصحية والتعليم ومشاريع التنمية، على سبيل المثال).

4 ~~1~~. معالجة الأفلام لظاهرة العنف ضدّ المرأة:

يستخدم مصطلح العنف للإشارة إلى عدم المساواة المبنية على النوع الاجتماعي وإساءة استخدام السلطة والأعراف الضارة ، والأفعال الموجهة ضد فرد أو مجموعة من الأفراد على أساس النوع الاجتماعي، لذلك حاولت السينما التطرق ومعالجة تأثير العنف الأسري على أداء أعضاء الأسرة، فالأبناء الذين يتعرضون أو يشاهدون العنف بين والديهم، أو الزوجة التي تتعرض لممارسات العنف من قبل زوجها، سيؤدي ذلك إلى الإحباط و الانسحاب الاجتماعي وازدياد نسب الانتحار وممارسة السلوكيات العنيفة ذات الطابع الإجرامي أحيانا ، "وقد ظهر بشكل عام مصطلح السينما النسوية بداية من عشرينيات القرن الماضي حين ظهرت أولى المخرجات السينمائية وتزامناً مع اقتحام المرأة لمجال الكاميرا والإخراج".(Hayward, 2001, p. 112)

زيادة على ذلك فقد " كان لظهور المنظمات وحركات تحرير المرأة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تأثير عميق على الدراسات الأكاديمية وعلى المجتمع معاً، ودفعت بقضية تحرر المرأة إلى دائرة الضوء الجماهيرية ليتزايد الاهتمام والاشتراك تدريجيا في الجدل الدائر بشأن قضايا النسوية، واكتساب اهتمام المؤرخين والدارسين الأدبيين والسينمائيين، وكانت النساء الدارسات السينمائيات من بين الأوائل الذين يرفضون المنظور التقليدي الذي يرتكز حول الرجل، وفي الوقت ذاته فإن نظرية ذكورية للسينما لاسيما في إنجلترا، كانت قد قدمت معالجات بنيوية في أعقاب أبحاث لدارسين مثل لوي ألتوسير ورولان بارت وجاك لاكان" (جرانت، 2015، صفحة 515، 516)، وهو تحول جيل جديد من دراسات سينمائية إلى دراسات متداخلة ومتجانسة، شكلت فيها السينما جزءا من الساحة الثقافية الحديثة في المدن، حيث كان الحراك المتزايد للنساء سبباً ونتيجة في الوقت نفسه للتغيرات في أدوارهن الاجتماعية، وساعدتهما الدراسات التي ترتكز على ممثلات وأدوار المرأة ووظائفها ونضالها ضد أشكال العنف، ومقارنة صور واقعية لما يعشنهن ويعانيهن من الهيمنة الذكورية، عبر توسيع مطالبهن والإصرار على مشاركة الرجل في الأعمال المنزلية، وتحريرها سينمائيا من كونها مقيدة حاملة للمعنى وليس صانعة للمعنى، وأنها تملك سلطة الفعل.

بخصوص السينما الجزائرية لم تشهد ولوج المرأة كمخرجة إلا في نهاية السبعينات من خلال الكاتبة الروائية آسيا جبار، التي دشّنت هذه التجربة بإخراجها فيلم نوبة نساء جبل شنوة في 1978، الذي يحكي واقع المرأة الجزائرية، ودورها خلال الحرب، ويسرد ذاكرة نضال أنثوي ويوثّق معاناتها، "إذ قدم لنا فيلم نوبة نموذجين عن المرأة، نموذج المرأة الشابّة العصرية مجسداً في شخصية ليلى المتعلّمة والمتحرّرة التي تنتقل بسهولة في ذلك الفضاء الرجولي الذي كان حكراً على الرجل، أمّا النموذج الثاني فهو نموذج المرأة الريفية، تمثله نساء جبل شنوة اللواتي لم تظهر منهن سوى الشابّة ذات 15 سنة، والمرأة المسنّة التي يتجاوز عمرها 50 سنة، وبالتالي تم إقصاء النساء الشابّات من الظهور بسبب عدم السماح بتصوير هذه الفئة في ذلك المجتمع" (زراري، 2011، صفحة 210)، وفيلم الزردة 1982، كعمل تسجيلي يكرس الفكر النضالي للمرأة ضدّ ذكورية المجتمع الذي تنكّر لتضحيات النساء بعد الاستقلال، وتثمين دورها من أجل التحرّر، واختارت المخرجة السينمائية والروائية آسيا جبار، مفهوم الزردة لارتباطها بالثقافة الشعبية للمجتمع الجزائري، أين اختارت المرأة الجزائرية التمرد على سجنها ونضالها بترديد الأهازيج والأغاني التي أنجبتها من رحم

الألم وخلدت تلك الأغاني أحداث ومجازر وقصص الحرب، ويمكن أن نذكر كذلك ضمن قائمة المخرجات السينمائيات الجزائريات، المخرجة حفصي كوديل من خلال فيلمها 'الشيطان في المؤنث 1992، الذي تطرّقت فيه للطابوهات في المجتمع الجزائري، كما نذكر يمينة بشير شويخ التي كتبت سيناريو فيلم عمر قتلاتو وفيلم رشيدة 2002، ويمينة بن قيقي وجميلة صحراوي، " وفي فيلم ريح الجنوب 1975، المقتبس من رواية عبد الحميد بن هدوقة، تتناول القصة نفسية الفتاة الطالبة بثانوية جزائرية، التي تصارع قرار والدها والقاضي بزواجها من أحد أبناء القرية والتحرر من أعراف القرية، حيث قدم المخرج شخصيتين إحداها الفتاة الثائرة على أوضاع بنات جنسها وعنف الرجل والسلطة الأبوية، والأخرى من دور الأم خيرة (أم نفيسة)، نستطلع من ثناياها شخصية المرأة الخاضعة لرغبات الرجل، تلك المرأة المقهورة التي لا تستطيع إيجاد ذاتها إلا في ظلّ خضوعها للرجل الزوج، الذي يمثل بالنسبة لها السلطة المطلقة التي لا يجوز الخروج عنها". (زراري، 2011، صفحة 76، 77)

عندما نتوقف أمام السينما ونجعلها فنًا يدل على هويته أو فناً عارضاً، وتلك الصلة بسائر الظواهر الاجتماعية المعبّرِ عنها بالأنشطة الفنية السنيمائية، لاستيعاب طبيعة ثقافتانا بشكل يعثر على وحدته في تلاقي أجزائنا المتناقضة والسعي نحو التصالح مع ذواتنا، تتكون صورة العنف ضد المرأة، " وتشير بعض المصادر إلى أن صورة المرأة قد تحولت في السينما الجزائرية من الرمزية كدلالة نضالية أثناء حرب التحرير ودلالة تطورية بعد الاستقلال إلى أن تصبح هي الرائدة في مجال صناعة صورها ورموز مجتمعها حيث جاءت أغلب أفلام المخرجات الجزائريات في قالب درامي يحكي عن العنف ضدّها والاضطهاد الذي عانته المرأة مع الإرهاب وخاصة مع الإرهاصات الأولى لبداية توليها المناصب السياسية والنقابية"(زراري، 2011، صفحة 128) ، في وقت كان فيه الجمهور المتلقي يحتاج إلى الكلمة المسموعة والأداء المرئي للتعبير عن حالة متواصلة ويومية من معاناة النسوة، بمختلف أوجهها الإنسانية، " حيث استطاعت السينما منذ ظهورها أن تستحوذ على اهتمام الفنانين والتقنيين والإعلاميين والأهم من ذلك جمهور المشاهدين الذين تحولت الأفلام بالنسبة إليهم مرآة عاكسة لذواتهم من منطق التقمص والتطهير، وغيرها من نظريات علم النفس المفسّرة للسلوك البشري في علاقته بالظواهر المختلفة، بفضل الخصائص التي تتمتع بها".(رحموني، 2016، صفحة 157)

إذا كانت الظاهرة السينمائية قد تطورت بفضل تطور أحداث تاريخية داخل المجتمعات على أساس أنها فن شامل يستنطق جميع الفنون، هذه الأخيرة التي سبقت تعامل الإنسان مع الطبيعة، فإنه وبلا شك ترتب عنه معالجة مواضيع وقضايا مختلفة، أهمها التصدّي للعنف ضد المرأة من خلال تصويب القواعد الثقافية الخاصّة بنوع الجنس، وتنمية استجابة القطاع الصحي لحالات العنف، ونشر الوعي حول صورة المرأة عبر فترات زمنية محدّدة من تاريخنا الحديث والمعاصر، وعلى هذا الأساس وعلى مدار عقود من الزمن، شكلت المرأة موضوعًا أساسيًا وهامًا في مختلف الفنون، ومصدرًا ملهمًا للكتاب والفنانين، و لا يكاد يخلو عمل إبداعي سواء أكان فنيًا أم أدبيًا، إلا وتكون المرأة حاضرة فيه ومحركًا رئيسيًا لأحداثه وشخصياته، إذ تناولها الرسام في لوحاته، ونقشها النحات في منحوتاته، وتغنى بها الشاعر في أبياته، والمخرج السينمائي في أفلامه، ولم يتوقف دورها عند الإشهار وأثر حضورها لدى المستهلك، ومن أجل الحصول على الاعتراف في عالم الفن الذكوري المهيمن، كافحت المرأة ضد الأيديولوجيات السائدة، وضد الملصقات الدعائية النفعية التي شوهت صورتها ، ففرضت وجودها بعزة الذات، وأثبتت فعاليتها وحطّمت على أعتابها كل العقد الذكورية التي فرضت عليها قيودا وأغلالا كثيرة ومتنوعة ، وبحكم أن مستوى أدائها وفعاليتها في الحياة العامة يمثل أحد ركائز التغيير الثقافي والاجتماعي، وباعتبار أن الفنون تستمد مادتها من الحياة ككل، وتحتل أعلى سلم تطور الحضارة والمدنية ، وأرقى ما أنتجته البشرية عبر تاريخها، استطاعت المرأة عبر الفنون أن تحقق حضورها بأكثر رصانة وحيوية، حضور تجاوز النظرة النمطية.

4 2. العنف ضد المرأة في سينما العالم العربي:

إن المعالجة السينمائية لقضايا المرأة، جاءت على العموم بهدف تحسين الصورة المقدمة عن المرأة العربية وجذب انتباه قادة الرأي العام لتبني موقف المساندة والاعتماد عليها كمصدر في التصدّي لأفكار السلبية حولها وتسليط الضوء على ما يجهله المتلقي، وبالتالي تشكيل رؤى إيجابية نحوها وتوجيه سلوكيات الفرد لتمكين المرأة من دمجها في الحياة الواقعية، إلا أنها جاءت نتاجات فنية سطحية يغلب عليها طابع الكم، تسعى إلى استعطاف الجمهور، أكثر من الاهتمام بالجانب النوعي بوصفه بديل أكثر ملائمة، يهدف إلى التركيز أكثر على اكتشاف المعاني الضمنية وأنماط العلاقات بينها وبين الآخر، " فقضايا العنف ضدّ المرأة المعروضة سينمائيا، تفتقر مضامينها إلى معالجة حقيقية لأوضاع المرأة العربية وقضاياها وهمومها الجوهرية في المجتمع، فالتركيز يكون عادة على القضايا ذات الطابع العاطفي والعلاقات مع الرجل الحبيب أو الزوج، ومع الأولاد والوالدين، وحتى هذه القضايا تتم معالجتها عادة بسطحية دون التركيز على أسبابها الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والدينية". (زراري، 2011، صفحة 66)

– في الجزائر:

من المخرجات الجزائريات البارزات المخرجة يمينة بشير شويخ التي افتكت لنفسها مكانة في عالم الإخراج السينمائي من خلال بعض الإنتاجات السينمائية،كان أبرزها فيلم "رشيدة" الذي حاولت من خلاله المخرجة تقديم صرخة النساء التي تعبر عن معاناتهن في مرحلة العشرية السوداء. يصور هذا الفيلم مأساة رشيدة المعلمة الشابة في مدرسة ابتدائية،في أثناء توجهها ذات صباح إلى المدرسة يعترضها مجموعة من الشباب يبدون للوهلة الأولى أنهم يغازلونها أو يتحرشون بها، لكن صراخها الحاد والمفاجئ يوحي بشيء أكثر خطورة من موضوع التحرش. إن هؤلاء الشباب قد طلبوا منها أن تضع قنبلة في حقيبتها اليدوية كي يكون ضحيتها أطفال المدرسة. وحينما تصرّ رشيدة على موقفها الرافض يطلق أحدهم النار عليها ويتركها تتخبط بدمائها وسط حيرة الناس الذين صعقهم هذا المشهد الإرهابي بحيث لم يحرّك أحد منهم ساكناً، حينها يتقدّم شخص كان أكثرهم شجاعة ،ليتأكد من أنها غائبة عن الوعي بفعل الطلق الناري وهول الصدمة التي تعرضت لها ، تنقل إلى المستشفى وحينما تتماثل للشفاء وتكتشف أن الحياة قد باتت مستحيلة بالنسبة لها في العاصمة، تقرر هي وأمها أن تغادر العاصمة إلى الريف علّها تكون في منأى عن هؤلاء الإرهابيين، وتستعيد وظيفتها كمدرسة في مدرسة ابتدائية في القرية التي أقامت بها، ولكن في تلك القرية النائية يلاحقها المجرمون أيضاً، ثم تبلغ الأحداث ذروتها حينما تحدث فاجعة ومجزرة، حيث يتحول عرس إحدى الفتيات في القرية والتي زوجت غصباً عنها إلى مذبحة للقرية بأكملها، وتنجو رشيدة بأعجوبة، إلاّ أن رشيدة تستعيدُ شجاعتها وتظهر وسط الخراب والدمار تسير ببطء شديد، تضع سماعات " الوكمان " في أذنيها، وتخرج بزيها المعتاد ذاهبة إلى المدرسة وسط مخلفات الجريمة النكراء في إشارة إلى أن نافذة الأمل تظل مفتوحة بالرغم من جرائم الإرهابيين، حيث يبدأ الأطفال بالتوافد تباعاً، ثم تستأنف رشيدة درسها آملة في غد أفضل لا يركع أمام هذه الضغوطات الشاذة التي حصدت أرواح الكثير من المواطنين الجزائريين الأبرياء.

إن مضمون الفيلم يحمل رسالة إيديولوجية تدعو إلى تغيير صورة المرأة الجزائرية و تحسين أوضاعها بالتطرق إلى معاناتها من الإرهاب من اختطاف و اغتصاب قتل، وضرورة التكفل بهذه الشريحة من ضحايا الإرهاب.

يعتبر هذا الفيلم صورة سينمائية تعكس مخاوف النساء، ورعبهن من الواقع المؤلم. هو صورة لنساء تعرضن لما تعرضت إليه رشيدة، وأخريات تعرضن لأبشع من مجرد إطلاق النار عليهن، بل إلى الاختطاف والاغتصاب ومن ثم القتل ذبحا، ولكن لا ننفي بأن هذا الفيلم قد صور المرأة بإيجابية فكانت البطلة المتحدية للإرهاب كما تحدت أسلافها الاستعمار.

ولا ننسى ما تعرضت له النساء من عنف خلال فترة الاستعمار الفرنسي إذ يعتبر التعذيب، ممارسة عنف مطلق على الآخر، عاجز عن الدفاع عن نفسه،إنه النموذج المثالي ذاته للسلطة على المجتمع أو على الإنسان.و لنا في ذلك العديد من الأفلام التي جسدت لنا مختلف أساليب التعذيب لنساء مجاهدات من أمثال الشهيدة جميلة بوحيرد" في فيلم جميلة و هو فيلم مصري تاريخي أنتج عام 1958، الفيلم من إخراج يوسف شاهين و تأليف كل من عبد الرحمن الشرقاوي و علي الزرقاني ونجيب محفوظ، صدر الفيلم بعد عام واحد فقط من تعذيب واعتقال جميلة بوحيرد، ومنعته حكومة احتلال الجزائر لعقود تتكلم القصة عن جميلة،فتاة جزائرية تعيش مع شقيقها و عمها في حي القصبة أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر...شاهدت جميلة تعذيب وقتل زميلتها أمينة على مرأى من عينها من طرف المستعمر الغاشم بالمدرسة التي كانت تدرس فيها.تنظم جميلة ضمن منظمة لمقاومة الاحتلال الفرنسي و قامت بالعديد من العمليات الفدائية و لكن في إحدى العمليات تم القبض عليها و تعذيبها على يد الكولونال بيجار وذلك من أجل أن تقر و تعترف بأسماء جميع الفدائيين العاملين معها، وتقاوم جميلة شتى أنواع التعذيب، ويتطوع المحامي الفرنسي جاك فيرجيس للدفاع عنها و تحكم عليها المحكمة بالإعدام و ينتهي الفيلم بهذا الحكم. (جميلة، د.ت)

5 خاتمة:

إن ما عالجته السينما الجزائرية لبعض المواضيع المتعلقة بالعنف ضد المرأة، لم يمنع من تفاقم الظاهرة بالرغم من إظهار بعض الحقائق التي كان يصعب تصديقها،لأن السينما أو الأفلام تعتبر مرآة لبعض أعمال العنف الممارس على المرأة سواءا في الأسرة أو العمل.و حتى أعمال العنف في فترة الاستعمار ضد النساء والتي شاهدناها من خلال بعض الأفلام،هي للذكرى و كي لا ننسى ما فعله المستعمر بحرائر الجزائر.و لهذا لا يجب أن ننسى ما قدمته السينما الجزائرية في معالجة العديد من الظواهر الاجتماعية و من بينها العنف ضد المرأة و ضرورة التحسيس بهدف إثارة الوعي لدى مختلف فئات المجتمع للوقاية والحد من العنف.

6 قائمة المراجع:

أولا: الكتب:

1. أنور مدحت رؤذان. (2013). الدراما النسائية في المسرح العربي الحديث: مسرح ميسون حنا. عمان- الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.
2. جمال معتوق. (2011). مدخل إلى سوسيولوجية العنف (د.ط). الجزائر: دار بن مرابط.
3. حسين أمين. (1999). المرأة بين الشارع والبيت. القاهرة: دار الشروق.
4. حسين محمد الظاهر. (1992). الأساليب التربوية الحديثة في التعامل مع ظاهرة العنف الطلابي. الكويت: وزارة التربية، إدارة التطوير والتنمية.
5. خليل وديع شكور. (1997). العنف و الجريمة (ط1). بيروت: الدار العربية للعلوم.
6. عبد الرحمان طه. (2017). سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية. بيروت- لبنان: المؤسسة العربية للفكر والإبداع.
7. محمد بن مكرم بن منظور. (1994). لسان العرب (المجلد التاسع). بيروت: دار صادر .
8. مديحة أحمد عبادة. (2008). العنف ضدّ المرأة: دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
9. مكتب الأمم المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للمرأة وآخرون. حزمة الخدمات الأساسية للنساء والفتيات اللاتي يتعرضن للعنف: العناصر الجوهرية والمبادئ التوجيهية.
10. ميشيلا مارزانو. (2012). معجم الجسد (المجلد الثاني). (ترجمة: حبيب نصر الله نصر الله) بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
11. نصيف جاسم الدليمي. (2017). السايكودراما علم النفس المسرحي. الأردن: الرضوان للنشر والتوزيع،.
12. وفاء محمد البرعي. (2000). دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
13. Hayward, Susan. (2001). Cinéma studies, The key concepts. , 2nd ED. New York: Taylor and Francis elibrary.

ثانيا: المجلات:

14. باري كيث جرانت. (2015). موسوعة السينما (شيرمر) (المجلد 2). (ترجمة: يوسف أحمد) مصر: المركز القومي للترجمة.
15. ربيع شتيوي ومحمود سمايلي. (جوان 2007). العوامل المدرسية المؤدية إلى العنف لدى تلاميذ المرحلة الثانوية الجزائرية- دراسة حالة تلاميذ ثانوية . المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، جامعة جيجل (العدد2-3).
16. عبد الجواد عاطف. (يناير 2020). العلاقة بين العنف الأسري الموجه نحو الأبناء وممارستهم للعنف المدرسي في إطار خدمة الفرد السلوكية. مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانة ، المجلد 3 (العدد 49).
17. لبنى رحموني. (2016). واقع السينما الجزائرية بعد الاستقلال: قراءة في تحولات المضمون والممارسة. مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 8 (العدد 22).

ثالثا: الأطروحات:

18. نادية عبدو محمد الشهري. (2013). أنماط العنف الأسري الممارس ضد المرأة العاملة المتزوجة، دراسة مسحية على المرأة العاملة المتزوجة في مدينة الرياض. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة الرياض، شعبة التأهيل والرعاية الاجتماعية.

19. نجمة زراري. (2011). الطرح الفيلمي لقضية المرأة في السينما الجزائرية. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام واتصال. الجزائر: جامعة الجزائر3.

رابعا: مواقع الإنترنت:

20. سلسلة الوحدات التعليمية لجامعة (E4J) بقطر والوحدة التعليمية 10. منع الجريمة والعدالة الجنائية. العنف ضد المرأة والفتاة، تاريخ الولوج: 2021/09/25، الموقع: https://cutt.us/9st3J

21. جميلة.(د.ت). فيلم: https://armwikipediaorg